



نظام السخرة بجيجل من خلال مراسلات ضباط المكاتب

العربية 1860-1873

The System of Forced Labor in Jijel through the Correspondence of Arab Bureau Officers (1860-1873)

هشام بهلول^{1*} ؛ عبد الرحمن بوسليمان²

¹ جامعة البليدية 2، لونسي علي - البليدية (الجزائر).

البريد الالكتروني المهني: hichem.behloul@univ-emir.dz

² جامعة البليدية 2، لونسي علي - البليدية (الجزائر).

البريدي الالكتروني المهني: a.bousslimani@univ-blida2.dz

تاريخ النشر

2025/06/01

تاريخ القبول

2025/01/25

تاريخ الإيداع

2024/12/01

الملخص: يتناول هذا البحث ظاهرة العمل القسري في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية من خلال تحليل تاريخي معمق. يعتمد البحث على دراسة المراسلات الرسمية لضباط المكاتب العربية، والتي تكشف عن الآليات التنظيمية التي استخدمتها السلطات الاستعمارية في استغلال العمالة المحلية بمنطقة جيجل. يعكس هذا التحليل الدور المحوري لهذه المراسلات في توثيق ممارسات السخرة. يركز البحث على تأثير العمل القسري على التركيبة الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة جيجل، موضحة العلاقة الوثيقة بين السخرة والضرائب المفروضة على السكان. يبرز البحث كيف أسهمت هذه الممارسات في إضعاف النسيج الاجتماعي وتعميق الفجوة الاقتصادية داخل المجتمع المحلي، مما عزز من تبعية السكان للسلطة الاستعمارية. وأخيراً، يقدم البحث رؤية جديدة حول مفهوم السخرة وتبعاته، مشيراً إلى كيفية استخدام السلطات الاستعمارية لهذا النظام لترسيخ السيطرة على المجتمع الجبلي. يسهم هذا التحليل في إثراء الأدبيات التاريخية المتعلقة بالعمل القسري، مما يتيح فهماً أعمق لأثر الاستعمار على المجتمعات المحلية.

الكلمات المفتاحية: السخرة ؛ التوزيع ؛ المكاتب العربية ؛ جيجل ؛ القيادة .

Abstract: This research delves into the phenomenon of forced labor in Algeria during the colonial era through an in-depth historical analysis. It relies on the study of official correspondence between Arab Bureau officers, shedding light on the organizational mechanisms used by colonial authorities to exploit local labor in the Jijel region. This analysis highlights the crucial role these correspondences played in documenting the practices of forced labor.

The study focuses on the impact of forced labor on the social and economic structure of the Jijel region, emphasizing the close relationship between forced labor and the taxes imposed on the local population. It illustrates how these practices weakened the social fabric and deepened economic disparities, thereby reinforcing the population's dependency on colonial authority.

Finally, the research provides new insights into the concept of forced labor and its consequences, demonstrating how colonial authorities used this system to strengthen their control over Jijel society. This analysis enriches historical literature on forced labor, offering a deeper understanding of colonialism's impact on local communities.

Keywords: Forced labor; Tawiza; Jijel; Arab offices; gaïd.

مقدمة:

تعتبر مسألة السخرة والعمل القسري من الموضوعات التي أثارت اهتمام بعض الباحثين في التاريخ سيما منهم الأجانب، نظراً لما تتضمنه من أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية. لقد كان مفهوم السخرة يمثل أحد أبرز مظاهر استغلال الإنسان للإنسان، حيث يُفرض العمل على الأفراد دون تعويض أو اختيار، مما يعكس ممارسات تُعتبر امتداداً للعبودية وانتهاكاً لحقوق الإنسان الأساسية. ومن خلال استعراض التاريخ، نجد أن السخرة اتخذت أشكالاً متعددة، بدءاً من العصور القديمة وحتى الفترة الاستعمارية، حيث كانت بعض الدول تستغل شعوباً بأكملها لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية.

في السياق الجزائري، تبرز تجوئة السخرة خلال الفترة الاستعمارية كحالة خاصة تُعبر عن كيفية استغلال السلطات الاستعمارية للسكان المحليين. فقد عمدت المكاتب العربية، التي أسست كأداة إدارية من قبل الاستعمار الفرنسي، إلى تنظيم وإدارة العمل القسري، مستخدمةً أساليب قهرية لضمان الامتثال والالتزام. كما تمثلت تحديات وممارسات هذه الهيئات في فرض العمل القسري على القبائل، مما أثار سلباً على حياتهم الاقتصادية والاجتماعية.

تتطرق هذه الدراسة إلى عدة إشكاليات جوهرية تسلط الضوء على العلاقة المعقدة بين السخرة ونظم السيطرة الاستعمارية. محاولة الاجابة على عدد من التساؤلات، أهمها : ما هو مفهوم السخرة وما هي أبعاده التاريخية؟ كيف أثرت المكاتب العربية في تنظيم وإدارة نظام السخرة بجيجل؟ وما هي الآليات التي استخدمتها السلطات الاستعمارية للسيطرة على السكان المحليين؟ ما هي علاقة السخرة بالضرائب والعمل الجماعي؟ من خلال معالجة هذه الاشكاليات، تهدف الدراسة إلى تقديم فهم أعمق لطبيعة العمل القسري في السياق التاريخي الجزائري، وتسليط الضوء على تأثيراته على المجتمع والتاريخ الوطني.

1. جيجل المنطقة والدائرة :

1.1 منطقة ومدينة جيجل : حظيت منطقة جيجل التاريخية باهتمام الكثير من المؤرخين والباحثين، إذ حاولوا تعريفها من خلال رسم حدودها الجغرافية معتمدين على بعض المعالم الجغرافية التي كانت تشكل فواصل طبيعية للمنطقة. فمنهم من وصفها بالمرعب (فيرو، 2013، ص22)، ومنهم من وصفها بالمستطيل الذي يبدأ أحد أضلاعه من ناحية الشمال من مصب وادي بوغيرون، هذا الوادي الذي يتوسط ما يعرف بخليج بجاية، وينتهي هذا الضلع إلى رأس العشائش غرب مدينة القل حاليا. ويكون هذا الضلع بمحاذاة ساحل البحر الأبيض المتوسط. يقابله الضلع المستطيل الثاني من الناحية الجنوبية منطلقا من سفح جبال بابور إلى السفوح الشمالية لجبال سيدي دريس، أي شمال بلدية القرام حاليا (خنوف، 2011، ص23). تقدر المساحة الإجمالية بحوالي ثلاثمئة وخمسين ألف هكتار (350000 هكتار)، غير أن هذه المساحة تتخللها الكثير من الجبال والوديان (فيرو، 2013، ص22).

في هذا الجزء من الساحل الشرقي للجزائر تقع مدينة جيجل، وهي تقريبا في منتصف المسافة بين (فيليب فيل) سكيكدة و(بوجي) بجاية. اذ تبعد على بجاية بمسافة 105 كلم، كما تبعد مسافة 165 كيلومترا من قسنطينة. وكانت تضم في الفترة الاستعمارية

العديد من المنشآت الحيوية مثل ميناء بحري، مكتب بريد، تلغراف، مستشفى عسكري، وإدارة للغابات، إلى جانب محكمة للصلح، مما يعكس دورها المحوري في المنطقة. بلغ عدد سكان جيجل أواخر القرن 19م حوالي 6,376 نسمة، منهم 4,223 يقيمون في المدينة نفسها، في حين يتوزع السكان بين الفرنسيين 1,072 والإيطاليين 97 والإسبان 78 والبقية من السكان المحليين تشكل 5,036 (Dictionnaire des communes, 1903, p66). وهي مدينة في شكل شبه جزيرة تقع على صخرة منخفضة تمتد في البحر. إذ تتميز الجبال التي تحيط بساحل جيجل في هذه المنطقة بالبعد قليلا عنه، مما يسمح بانتشار سهول واسعة تمتد نحو الشرق، حيث تتخللها بعض التلال الصغيرة. ولدى بُعد مسافة قصيرة، في الشرق يوجد مصب الوادي الشهير وادي الرمال أو كما يعرف كذلك باسم الوادي الكبير الذي يعبر مدينة قسنطينة (Suchet , 1840, p131).

1.2 دائرة جيجل الاستعمارية : عمدت السلطات الفرنسية إلى تقسيم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات، إذ برزت قسنطينة كمقاطعة رئيسية في شرق الجزائر، لتلعب بعد ذلك دوراً محورياً في المشروع الاستعماري الفرنسي. كما كان التقسيم الفرعي لمقاطعة قسنطينة جزءاً من الإجراءات التي اتخذها المستعمر الفرنسي لضمان السيطرة الإدارية والعسكرية على المنطقة. شمل هذا التقسيم ثلاث دوائر رئيسية: أولاً، دائرة قسنطينة، التي كانت بمثابة المركز الإداري الأساسي، وتضمنت ملحقتين هما عين البيضاء وتبسة، إذ لعبت كل منهما دوراً مهماً في تنفيذ السياسات الاستعمارية. ثانياً، دائرة (فيليفيل) المعروفة اليوم بسكيكدة. ثالثاً، دائرة جيجل المعروفة آنذاك بـ(Djedjelli). (Teissier, 1865, p20).

قسمت دائرة جيجل إلى عدة وحدات إدارية أُصطلح على كل واحدة منها اسم "القيادة"، إذ بلغت عدد القيادات التي ضمتها هذه الدائرة اثني عشر قيادة كما وضح ذلك المؤرخ "شارل روبير أجيرون" إذ تناول مسألة تقسيم دائرة جيجل إلى قيادات بشيء من التفصيل، فذكر أنه تم تقسيمها في عام 1860 إلى 12 قيادة، ثم أعيد تقسيمها إلى 10 قيادات في

عام 1865، وأخيراً إلى 9 قيادات في عام 1879. كانت القيادات تُعَيَّن مباشرة من قبل السلطات العسكرية. كما عَزَى جمع المشيخات تحت كل قيادة إلى الجنرال (ديفو Desvaux) على النحو التالي: عشر مشيخات تشكل وتنضوي تحت قيادة العوَّاة، بينما ضمت قيادة بني فوغال 12 مشيخة تابعة لـ 4 قبائل. كما شملت قيادة تبابورت 20 مشيخة لسكان يبلغ عددهم حوالي 6 آلاف نسمة. أما قيادة بابور، التي أُلحقت في عام 1864 بملحقة تاكيطونت، فقد ضمت 24 مشيخة. (Ageron, 2005, p89,90.)

2. مفهوم السخرة والعمل القسري:

1.2 تعريف السخرة:

السخرة، كما عُرِّفَتْ في موسوعة السياسية، هي نوع من العمل الإجباري دون أجر، يعكس شكلاً من أشكال العبودية أو الخضوع المهين، ويفرضها المنتصر على المهزوم. كما جعلت من مصطلح السخرة يقابله باللغة الإنجليزية Forced labor، وفي اللغة الفرنسية Corvée (الكيلي، 1990، 3، ص152-153). وبغض النظر عن الاختلافات الاشتقاقية غير المؤكدة لكلمة السخرة في اللغات الأوروبية، فإن كلمة "السخرة" كانت دائماً تشير إلى خدمة تُقَم، مثل الحراسة أو المراقبة أو المرافقة، أو عمل يقوم به فرد لصالح فرد آخر. ومع تطور القانون الإقطاعي، أصبحت الكلمة تُعَوِّ بوضوح أكبر عن الخدمة التي يجب أن يؤديها القن تجاه سيده (Habault Gabriel, 1903, p6).

في اتفاقية العمل القسري "Forced Labour" لعام 1930، عُرِّفَتْ منظمة العمل الدولية "العمل القسري أو الإلزامي forced or compulsory labour" بأنه "كل عمل أو خدمة تُفرض على أي شخص تحت تهديد أي عقوبة، والذي لم يعرضه الشخص طواعية". كما أوضح ممثلو مؤتمر جنيف العمل القسري باعتباره "ممارسة معينة للعمل الإلزامي الذي يُفرض بواسطة دولة أو وكالات دولة، وليس كعقوبة لجريمة جنائية أو لغرض الدفاع العسكري (Bellucci, 2019, p77).

وقد عرّف أحد الجنرالات الفرنسيين في الجزائر العمل بنظام السخرة بأنه وسيلة لإنجاز الأشغال التي تُعتبر ذات مصلحة عامة، فقال: "كانت المتطلبات المستمرة التي فرضتها نشاطاتنا المستمرة في زمن السلم، واحتياجاتنا لتزويد مراكزنا وقواتنا أثناء الحرب، والتي فُرضت باستمرار تحت مسمى السخرة على القبائل العربية (Chenntouf, 1981, p92).

2.2 السخرة في السياق التاريخي :

ظهر مصطلح السخرة في سياقات متعددة عبر التاريخ العربي، حيث استخدم للإشارة إلى العمل القسري المفروض على الأفراد من قبل الحكومات أو الأنظمة. من أوائل الأمثلة على ذلك، نجد أن الحكام كانوا يُجبرون المحكومين على تقديم أعمال سخرة في بناء الصروح العامة، كما حدث في بناء كنيسة صنعاء أو كما فعل فرعون بالإسرائيليين. وهذا يعكس استخدام السخرة كوسيلة لتجنيد قسري للقوى العاملة لصالح المشاريع العامة . وفقاً لابن خلدون، فإن السخرة تؤثر سلباً على الاقتصاد والمجتمع، حيث تخل بالتوازن الاقتصادي وتدمره. كما يعتبر الإسلام العمل القسري عملاً موقوتاً، نظراً لأن حرية العمل وحرية الكسب مصادرتان (الكيالي، 1990، 3، ص153).

نشأت السخرة الملكية في أوروبا في القرن الثامن عشر كخدمة إلزامية تُفرض على فئة معينة لصيانة الطرق، لكنها كانت موجودة منذ العصور القديمة. في روما، لم تقتصر السخرة على صيانة الطرق بل فُرضت على طبقات معينة من المواطنين، وانقسمت إلى نوعين "operæ officiales" وتشمل خدمات الحراسة التي يؤديها الخدم تجاه أسيادهم، و "operæ fabriles seu artificiales" وهي أعمال يدوية وفنية (Habault, 1903, p5).

كانت معاهدة جنيف لعام 1930 تهدف إلى القضاء على استخدام العمل الجبري أو الإلزامي بجميع أشكاله في أقصر فترة ممكنة. لكن لم تتفق جميع القوى الاستعمارية على معاهدة 1930. حيث صادقت عليها بريطانيا وهولندا في عام 1931، صادقت عليها إيطاليا في عام 1934 وفرنسا في عام 1937. لكن التصديق على المعاهدة تأخر في

بلجيكا حتى عام 1944 وفي البرتغال حتى عام 1956. جادل بعض المسؤولين الاستعماريين البارزين، بما في ذلك رينيه ميسير René Mercier من الجانب الفرنسي، بقوة بضرورة التعديل والحفاظ على أشكال مؤقتة من العمل الجبري كوسيلة لـ"تنقيف" الأفارقة حول قيمة العمل، كما قامت فرنسا بتمرير مشروع قانون 21 أغسطس 1930 لتنظيم سياساتها الخاصة بالعمالة القسرية Travail forcé. في المقابل تم إلغاء العمل الجبري رسمياً، على الرغم من أنه استبدل بالعمل الإلزامي travail obligatoire (Bellucci, 2019, p106)

تلجأ الدول في الزمن الراهن إلى تجنيد العمال في حالات الضرورة القصوى، مثل الحروب أو الكوارث، ولكنها تسعى عادةً إلى تشجيع التطوع وتأمين احتياجات العمال الأساسية. ومن الأمثلة القريبة من السخرة في التاريخ المعاصر هي سياسة ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية ومعسكرات العمل في سيبيريا خلال فترة ستالين في الاتحاد السوفييتي. تجدر الإشارة إلى أن الخدمة الإلزامية في القوات المسلحة لا تعتبر نوعاً من السخرة، بل هي واجب وضرورة لحماية الأوطان (الكيلي، 1990، 3، ص152).

رغم كثرة الرسائل المتعلقة بفرض أعمال قسرية على الأهالي الموجهة من طرف ضابط المكتب العربي بجيجل إلى قياد الأعراش وشيوخ الفرق، فإن لفظة "السخرة" لم ترد إلا في رسالتين فقط، من السجلين الذين اشتغلت عليهما، والذين بلغ مجمل عدد المراسلات فيهما ما يزيد عن أربعة آلاف ومئتين وثلاثة وثلاثين مراسلة (4233). مصدر هذه الرسائل هما سجلين محفوظين في الأرشيف آكس ماوراء البحار بمرسيليا، يحمل السجل الأول رقم: GGA 33 KK/35 ويغطي الفترة الزمنية الممتدة من سنة 1860-1863. بينما كان رقم السجل الثاني: GGA 33 KK/39 ويشمل سنوات : 1860-1873. كانت الرسالة الأولى بتاريخ الثاني من جانفي سنة 1873، والثانية في السادس عشر من مايو من السنة نفسها. (GGA 33 KK/39, Corres.le :16/05/1873)

هذا الأمر يبرز كيفية استخدام السلطات الاستعمارية لغة معينة في اتصالاتها، حيث يُمكن أن تكون هناك محاولات للتقليل من التأثير النفسي لكلمة "السخرة Travail forcé" عبر عدم استخدامها بشكل متكرر كما يمكن أن يُشير ذلك أيضاً إلى الأبعاد السياسية والاجتماعية للسخرة وكيفية إدارتها، حيث يُفضل استخدام مصطلحات أكثر عمومية أو إجرائية لوصف عملية استغلال السكان المحليين دون الإشارة المباشرة إلى طبيعتها القاسية. فكانت معظم الرسائل تذكر كلمة "خدمة"، وتردّف عليها بالمجال الذي تريد أن تفرض فيه العمل القسري. كأن تقول "خدمة الطريق" أو "خدمة التيلغراف".

3. دور المكاتب العربية في إدارة السخرة في جيجل:

1.3 نشأة المكاتب العربية ودورها الإداري:

نشأت المكاتب العربية في الجزائر كجزء من استراتيجية إدارية استعمارية وضعها الفرنسيون بهدف تعزيز السيطرة والتواصل المباشر مع السكان المحليين. كانت هذه المكاتب في البداية جزءاً من جهود الهيمنة الاستعمارية التي أرادت السلطات الفرنسية لتعزيز نفوذها وتسهيل إدارتها للمناطق المحتلة. الفكرة بدأت كمبادرة اقترحها أحد الجنرالات الفرنسيين على القيادة العسكرية بالجزائر، وتم تجسيدها لأول مرة خلال فترة الحاكم العام الدوق دي روفيغو (Le Duc de Rovigo) عام 1833م، حيث أنشئ فرع ضمن مكتبه تحت مسمى "المكتب العربي".

ومع مرور الوقت، تطورت هذه الهيئات وتوسعت، واتخذت أسماء مختلفة، من بينها "مصلحة الشؤون العربية" كانت هذه المكاتب تُدار عادةً من قبل ضباط فرنسيين يتمتعون بكفاءة عالية في اللغة العربية، ما أتاح لهم الاطلاع على الشؤون المحلية وإدارة العلاقات مع الأهالي بفعالية. لعبت هذه المكاتب دوراً محورياً في تنفيذ السياسات الفرنسية ولحكام قبضتها على المجتمع الجزائري من خلال تقديم تقارير ومعلومات عن الأوضاع المحلية،

وتوجيه السياسات الاستعمارية بما يخدم المصالح الفرنسية. (فركوس، 2006، ص12-13).

2.3 ضباط المكاتب العربية كوسطاء:

قام ضباط المكتب العربي في جيجل بدور الوسيط بين السلطات الفرنسية العليا والأهالي، حيث كانوا ينقلون إليهم كل ما هو جديد من قوانين وتعليمات ومراسيم صادرة عن هذه السلطات. كما أنهم كانوا يتولون تنفيذ هذه الأوامر على السكان المحليين، معتمدين في ذلك على خدمات القايد وشيوخ القبائل الذين يسهمون في تسهيل هذه العملية. إذ ظل هؤلاء تحت الإشراف المباشر والسيطرة الكاملة لقادة المقاطعات العسكريين. كما كانت المكاتب العربية تعمل وفقاً للتوجيهات الصارمة التي صدرت عن القيادة الفرنسية، ومن بين هذه التعليمات تلك التي وجهها المارشال ماك ماهون (Mac Mahon) في 21 مارس 1867 إلى رؤساء المقاطعات والتقسيمات والدوائر، والتي منحت القادة العسكريين السلطة الحصرية لإصدار الأوامر وتوجيه شؤون الإدارة المحلية. (Duval, 1869, p44)

لم تكن المكاتب العربية إلا أداة إدارية ضمن منظومة القيادة العسكرية، تعمل كأركان تنفيذية مختصة بتسيير شؤون القبائل وتنظيمها وفقاً للأوامر الصادرة عن القادة الفرنسيين. كان الضباط المسؤولون عن هذه المكاتب بمثابة همزة وصل بين السلطات العسكرية والسكان المحليين، حيث لعبوا دوراً حيوياً في تنفيذ السياسات الاستعمارية، ولحكام القبضة على الأهالي من خلال تنظيمهم وضبطهم وفق التعليمات العسكرية. هذه الهيئات لم تقتصر على كونها مؤسسات إدارية فحسب، بل كانت أذرعاً تنفيذية تُسخر لخدمة المصالح الاستعمارية عبر إدارة القبائل ولخضاعها للسيطرة الفرنسية (فركوس، 2006، ص13).

3.3 الآليات الإدارية للسخرة في جيجل:

1.3.3 الإشراف المباشر: تولى المكتب العربي بجيجل عملية تنظيم العمالة القسرية، حيث كان مسؤول عن تسجيل الأهالي وتحديد الأفراد المؤهلين لأداء السخرة وفقاً لاحتياجات السلطات الاستعمارية. وفي هذا السياق وردت رسالة واضحة وصريحة تشير إلى أن ضابط المكتب العربي سيقوم بالتوجه بنفسه برفقة حاكم جيجل لتفقد أعمال السخرة يوم السبت بدوار بني قايد. هذه المتابعة الميدانية تظهر إشرافاً فعلياً ومباشراً على سير أعمال السخرة، حيث أن الضابط لا يكتفي بإصدار الأوامر من بعيد بل يتواجد شخصياً لمراقبة التنفيذ (GGA 33 KK/39, Corres le :11/04/1873).

كما لعب ضابط المكتب العربي بجيجل دوراً مهماً في الإشراف على أعمال السخرة وخدمة الطرق، من خلال القياد الذين يعملون تحت إمرته مباشرة. إذ نجده يطلب من أحد القياد التوجه بنفسه إلى منطقة "أم ثلاثين" للقاء حاكم الدومين، مما يدل على أن القايد كان مُلْزماً بالحضور الشخصي للإشراف على الأعمال وتنسيقها مع السلطات الاستعمارية. كما تبين الرسالة أن القايد كان مسؤولاً عن تجنيد الناس للمشاركة في "خدمة طريق الفيلاج"، وهو ما يظهر في توجيه اللوم إليه لعدم تقديم إلا عدد قليل من الناس لهذه الخدمة. هنا يظهر أن القايد كان المشرف الرئيسي على توجيه السكان المحليين لأداء مهام السخرة. كما كان القايد مُكلف أيضاً بـ "تجريد جميع المشايخ والواقفة الذين يصدر منهم تراخي"، مما يعني أنه كان مُلْزماً بتحديد القيادات المحلية الذين يُظهرون تقصيراً في أداء واجباتهم، وفرض العقوبات عليهم، تحت مسمى (الخطية). هذا يُشير إلى أن القايد لم يكن فقط مسؤولاً عن العمالة العامة، بل أيضاً عن الإشراف على زعماء القبائل والشيوخ المحليين الذين ينسقون هذه العمالة (GGA 33 KK/39, Corres.Le :09/03/1873).

2.3.3 تحديد الأنشطة: كانت السلطات تحدد أنواع العمل المطلوب، سواء كان في الطرق، المزارع الاستعمارية، أو الأعمال العامة، وتقوم المكاتب العربية بتوزيع العمال بناءً

على تلك الاحتياجات. وقد وردت الكثير من الرسائل الصادرة عن ضابط المكتب العربي بجيجل في هذا الصدد.

مثال ذلك الرسالة التي تلقاها قايد العوانة ودار الباطح السي مسعود بن الطاهر والتي طُلب منه فيها أن يأمر الشيوخ التابعين له (وهم شيوخ القبائل ضمن عرشه) بإحضار عشرة أفراد من كل فرقة (قبيلة) للعمل لمدة يومين في بناء دار القايد نفسه. هذه الخدمة هي شكل من أشكال السخرة، حيث يتم استدعاء الأهالي للعمل دون مقابل بناءً على أوامر السلطات كما هو موضح. هؤلاء الأشخاص الذين سيؤدون هذا العمل في دار القايد سيتم إعفاؤهم من العمل الأخر، المتمثل في شق الطريق. يبدو أن العمل في الطريق كان أيضاً جزءاً من السخرة، ولكنهم يُعفون من تأديته مقابل العمل في دار القايد السالف الذكر. (33 GGA 11/10/1862: Le...Corres, KK/35)

زيادة عن الرسائل الكثيرة التي وردت كأوامر لتوجيه سكان الأعراش المختلفة من طرف القياد لشق الطرق واصلاحها (07/05/1862: Le...Corres, KK/35 GG 33). أو قطع وحمل الأخشاب من الغابات من أجل تمديد خطوط التيليغراف بمناطق مختلفة بجيجل (GG33 03/12/1860: Le...Corres, KK/35، وبناء المرافق العمومية كمراكز التيليغراف GG 33 08/12/1860: Le...Corres, KK/35، هناك رسائل أخرى تناولت أعمال سخرة مختلفة، لا يتسع المجال لذكرها جميعا. ومثال ذلك الأمر الذي تلقاه قايد بني يدر ومفاده اعانة العمال الذين وجهتهم السلطات الفرنسية من بجاية لقطع الحشيش بأعراش جيجل وعددهم خمسة، ومن ثمة يجب على القايد أن يأمر السكان المحليين من عرشه للقيام بإعانة هؤلاء العمال على ما يقومون به، كما أمر القايد بضرورة توفير الطعام والمبيت لهؤلاء العمال مدة إقامتهم بعرشه وألزمه بتوفير كل ما يحتاجونه في عملهم (GG 33 KK/35, Corres.) 06/06/1962: Le).

3.3.3 فرض العقوبات: كانت المكاتب العربية مسؤولة عن تطبيق العقوبات على الأهالي الذين يرفضون أو يتخلفون عن أداء السخرة، حيث يتم معاقبتهم بالغرامات أو السجن. ففي جيجل نجد العديد من المراسلات والأوامر التي كانت تصدر عن ضابط المكتب العربي إلى قياد الأعراش وشيوخ القبائل بالمنطقة، تحثهم على فرض تلك العقوبات على كل من امتنع من سكان الأعراش على الانخراط في أعمال السخرة.

مثال ذلك الأمر الذي تلقاه القايد عمر بن حبيص -قايد بني فغال- من طرف ضابط المكتب العربي. هذا الأخير يأمره بإرسال قائمة بأسماء الأشخاص الذين امتنعوا عن تأدية العمل المكلفون به في اطار السخرة، وهو شق الطريق، وذلك حتى يقوم ضابط المكتب بكتابة مقدار الغرامات المفروضة عليهم وإرسالها للقايد من أجل تخليصها منهم وفق ما هو معمول به في ادارة المكتب (GG 33 KK/35, Corres..Le :14/08/1868)

وفي رسالة أخرى موجهة إلى أحد القيايد بجيجل ورد أمر يكلفه بضرورة معاقبة الممتنعين عن أداء واجب السخرة. حيث يُلحظ أنه تم فرض غرامة مالية قدرها خمسة وعشرين فرنكاً على كل من أحمد بن خلف الله ومحمد بن صالح من إحدى القبائل التابعة لحكم قيادته، بسبب امتناعهم عن إرسال بغالهم لخدمة الدولة. هذا النص يعكس كيفية استخدام الغرامات كأداة قمعية لإجبار السكان المحليين على الامتثال لأوامر السلطة الاستعمارية. وقد تم تحديد آلية تنفيذ العقوبة، حيث تُوجه التعليمات بدفع الغرامة قبل إرسال الممتنعين إلى السجن لمدة ثمانية أيام. (GG 33 KK/35, Corres..Le 06/1860).

يتكرر هذا الموقف مع قايد العوانة الذي تلقى رسالة من ضابط المكتب العربي يعلمه بقدر الغرامة المالية التي تعين على الضباط فرضها على الاثنيين والثلاثين شخصا من قبيلة بني قايد الذين امتنعوا عن خدمة الطريق، اذ قدرت الغرامة بخمس وعشرين فرنك على كل شخص، وهذه الغرامة جاءت بناء على القائمة التي أرسلها قايد العوانة نفسه لضابط المكتب. وقد وضحت الرسالة أن ضابط المكتب العربي بجيجل أرسل أحد الجنود

لاصطحاب هؤلاء الممتنعين من أجل جعلهم في السجن لمدة ثمانية أيام، عقوبة أخرى على رفضهم للسخرة. (GG 33 KK/39, Corres.Le :09/04/1872)

4.3.3 التنسيق مع القيادة المحلية: اعتمدت المكاتب على التعاون مع قياد الأعراس وشيوخ القبائل والدواوير لضمان توفير العدد المطلوب من العمال، مما يجعل هذه الزعامات جزءاً من نظام القمع الاستعماري. في هذا السياق، تكشف رسالة مؤرخة في 2 جوان 1862 عن طبيعة العلاقة بين ضباط المكاتب العرية والقياد في منطقة جيجل، وتُظهر بوضوح الأسلوب الذي اتبعه المستعمر لضمان تنفيذ أعمال السخرة بكفاءة. جاء في الرسالة توجيه من "السيد القبطان لنوبل"، المسؤول عن إدارة شؤون العرب في جيجل، إلى "كافة القياد الذين بوطن جيجل"، يأمرهم فيها بالنظر في أهلية بعض السكان المحليين الذين لهم دراية باستخدام المناجل الفرنسية في عمليات قص العشب. وفي حال العثور على هؤلاء الأشخاص "الناجمين"، أي القادرين على أداء هذه المهام بكفاءة، فإن على القياد إبلاغ السلطات الفرنسية (GG 33 KK/35, Corres.Le :02/06/1862)

من خلال هذا التنسيق، تمكنت الإدارة الفرنسية من تنفيذ أعمال السخرة بكفاءة، مستفيدة من التعاون الإجباري للقياد الذين وجدوا أنفسهم جزءاً من جهاز السيطرة الاستعماري. هذه الرسالة هي شهادة واضحة على كيفية إدارة المستعمر للموارد البشرية في المناطق الريفية وضمان تحقيق استغلال فعال للعمالة المحلية.

5.3.3 توفير الدعم اللوجستي: بينت العديد من الرسائل مهام المكتب العربي بجيجل في تنظيم نقل العمال وتوفير مستلزمات العمل. ومثال ذلك التوجيه الرسمي المرسل إلى الشيخ محمد بودودة من طرف ضابط المكتب، يطلب منه أن يوصل بنفسه أربعين رجلاً من عرشه إلى الفرنسي المكلف بقطع الأعمدة من الغابة المسماة "قروش". إذ يكلف هؤلاء العمال بقطع الأخشاب لصالح الإدارة الفرنسية، تحت إشراف مباشر من الشيخ، ويتم تحديد معايير دقيقة

لاختيار العمال بحيث يكونوا قادرين على أداء هذه الخدمة بفعالية (GG 33 KK/35,)
(corres..Le 03/12/1860)

كما حرص ضابط المكتب في رسالة أخرى على تزويد العمال المنتقلين لقص الحشيش
بالأدوات الزراعية المطلوبة، "المناجل الفرنسية"، لاستكمال أعمالهم على أحسن وجه (GG
(33 KK/35, Corres..Le :02/06/1862)

نجد هذا الدعم من قبل ضابط المكتب العربي بجيجل يتكرر باستمرار في المراسلات
الصادرة عنه، فبتاريخ 3 فيفري 1873 صدرت رسالة موجهة إلى قايد بني عمران ، تظهر
كيف أن المكتب العربي كان يلعب دوراً محورياً في تنظيم القوى العاملة وتوجيهها للعمل
تحت إشراف وإدارة المكتب العربي بجيجل. شكلت صورة واضحة لنظام الدعم اللوجيستي
الذي فرضته السلطات الاستعمارية في الجزائر بصفة عامة ودائرة جيجل بصفة خاصة.
تتضمن الرسالة توجيهات صارمة للقايد بحمله فيها مسؤولية إرسال 150 عاملاً إلى "قبطان
الجبني"، وهو ضابط مكلف بمهام البناء والتعمير، إلى موقع "دار القجالي". هذا الإجراء كان
يتم بناءً على أوامر صادرة عن ضابط المكتب العربي. مما يؤكد طبيعة العلاقة التراتبية التي
كانت تحكم عملية تنظيم السخرة (GG 33 KK/39, Corres..Le :03/02/1873) وحتى على
المستوى العسكري، يقدم ضابط المكتب العربي دعم لوجيستي كبير بتنظيم القوات المسلحة
المتاحة للقياد، ويشرف على قيادتها تحت مسؤوليته المباشرة لدعم الكتائب العسكرية المنظمة
على مستوى مختلف القطاعات الإدارية بالجزائر ، حيث يحدد أيضاً الأعمال الإلزامية للنقل
التي تنفذها البغال التابعة للقبائل (Budin, 2017,1/ p255).

4. السخرة علاقتها بالضرائب وتداخلها مع أنماط العمل الجماعي:

1.4 الضرائب والعمل الإلزامي:

تعرضت القبائل الجزائرية لمجموعة متنوعة من الأعمال الشاقة، إلى جانب الضرائب
المباشرة، فكانت السلطات الاستعمارية تقوم بتكليف الأهالي لتوظيف حميرهم لنقل المعدات

العسكرية، كما كان الأهالي أنفسهم يكلفون قسرا بأعمال الوقاية من الحرائق ومكافحتها، ومكافحة غزو الجراد. يقبل بعض المواطنين دفع أموال للقائيد المحلي الذي ينظم العمل الشاق، وبالتالي يُعفون من تلك المهام (Budin, 2017,2/ p540).

تشير إحدى الرسائل الموجهة من طرف ضابط المكتب العربي بجيجل إلى قائد بني فغال الى التداخل الواضح بين الضرائب والعمل القسري (السخرة) في النظام الإداري الاستعماري. يُذكر فيها أن المدعو مسعود بودادة، وهو أحد السكان المحليين، لم يدفع ما ترتب عليه من التوزيع وغرامة زكاة ثورين، مما يشير إلى أن التوزيع لم تكن مجرد عمل جماعي تطوعي، بل كانت جزءا من نظام يشبه الضرائب التي جعلتها السلطات الفرنسية تنفذ في شكل عمل قسري. هذا التداخل بين الغرامات المالية والتوزيع يعكس كيف تم استخدام العمل القسري كوسيلة لجباية الضرائب أو تعويض عنها.

في هذا السياق، كانت السخرة تُفرض كجزء من الالتزامات المجتمعية، والتي قد تشمل أداء الضرائب أو المشاركة في الأعمال الجماعية لصالح السلطة المحلية. يُظهر نص الرسالة أن ضباط المكتب العربي بجيجل أصدر أوامر مباشرة للقائيد لتحصيل هذه المبالغ، ما يبرز أن التزامات السكان المحليين لم تكن مقتصرة على الدفع المالي فقط، بل شملت أيضا تقديم العمل القسري عند الحاجة. وهكذا، نجد أن العلاقة بين الضرائب والسخرة تتجلى في تحويل التزامات مالية إلى أعمال قسرية تُفرض على الأفراد (GG 33 KK/39, Corres.Le :08/06/1872).

2.4 علاقة التوزيع بالسخرة:

عرفت التوزيع عند الجزائريين على أنها الممارسة التي يتم من خلالها حشد المجتمع لإنجاز أعمال مهمة، لا سيما في المجال الزراعي كالحراثة والحصاد ونحوهما. والملاحظ أن التوزيع يمكن أن تتبع من مبادرة المجتمع ذاته، أو قد تُفرض من قبل السلطة الفرنسية، مما يجعلها تأخذ طابع العمل الإلزامي (Budin, 2017,1/ p373) كما هو الحال في الجزائر بداية

من عام 1868، إذ كان جميع المسلمين، لا يزالون مجبرين على أداء أعمال السخرة تحت مسمى "التوزيع"، التي كانت في أصلها تعبيراً عن التضامن والتعاون الجماعي، لتتحول إلى أداة من أدوات العمل القسري. هذا النظام استمر في السريان إلى غاية سنة 1899. كما أصبحت الضرائب والعقوبات المتعلقة بالمخالفات المرتبطة بالغابات تُنفذ عبر التوزيع. (Chenntouf Tayeb, 1981, p92) وهذا ما أكدّه الباحث جاك بودان Jacques Budin مرة أخرى حينما تحدث عن الضرائب التي يُسمح للقياد والشيخوخت بتحصيلها وهي أربع، وكان من بينها التوزيع، وهي العمل الزراعي الإلزامي الذي يُقدّم كعطية للقياد والشيخوخت (Budin, 2017, 1/ p230).

تشير إحدى الرسائل الموجهة لقايد بني عافر وجيملة إلى دور التوزيع كآلية جماعية تطوعية للعمل في أعراش جيجل. من خلال استفسار القائد عن الأراضي التي حرثها الشيخوخت بوعكاز بالتوزيع. إذ تظهر كيف تمّ توظيف هذا العمل الجماعي الطوعي في أنشطة زراعية لصالح الأفراد ذوي النفوذ. وبالرغم من أن التوزيع عادة ما ترتبط بروح التعاون المجتمعي والديني، فإن الرسالة تلمح إلى توجيه هذا النوع من العمل لخدمة القيادة المحلية الممثلة للسلطة الاستعمارية بالمنطقة، مما يقرب التوزيع من مفهوم السخرة. وهنا يتضح أن الفرق بين التوزيع والسخرة يتلشى، خاصة عندما يكون هناك تدخل مباشر من السلطات أو زعماء القبائل. في الرسالة ذاتها، يبدو جلياً أن القايد المحلي أستعلم من طرف ضابط المكتب العربي بجيجل لجمع معلومات حول استخدام التوزيع في حرث الأرض وتوجيهها لصالح الشيخوخت بوعكاز، وهو ما يعكس التداخل بين العمل الطوعي والقسري في ظل الهيمنة الاستعمارية، إذ كانت التوزيع تستغل لدعم أشكال أخرى من السيطرة والسلطة، في إطار السخرة التي كانت تُفرض على السكان لصالح المستعمرين وممثليهم من القيادة المحلية (GG 33 KK/35, Corres..Le :18/02/1862)

يمكن ملاحظة أخيراً أنه ضمن أراضي القبيلة، كان رؤساء القبائل سواء كانوا قياد للأعراش أو شيوخ للفرق غالباً ما يستفيدون من أراضٍ مخصصة كان تمنح لهم في إطار الامتيازات التي يحصلون عليها من وراء توليهم تلك الوظيفة. وكانت عملية استغلال هذه الأراضي تتم إما من خلال الخماسة، أو من خلال فرض أعمال السخرة الممثلة في صورة التوزيع على المجموعات القبلية (Budin, 2017,1/ p61)

5. الخاتمة :

في الختام، يُظهر هذا البحث مدى تعقيد نظام السخرة الذي فرضته السلطات الاستعمارية الفرنسية على سكان جيجل بين عامي 1860 و 1873 من خلال مراسلات ضباط المكاتب العربية، وفق نظام محكم، إذ لم يكن هذا النظام مجرد آلية اقتصادية لإجبار الأهالي على العمل دون أجر، بل هو نظام استغلالي يعكس علاقات السلطة والهيمنة بين المحتل والمستعمَر، كما أن السخرة لم تكن ظاهرة عابرة أو ظرفية، بل كانت سياسة ممنهجة تديرها المكاتب العربية بجيجل، التي أصبحت جهازاً إدارياً متخصصاً في تنظيم وتوزيع العمل القسري على السكان المحليين. يُعتمد فيه بشكل كبير على ضباط المكاتب العربية الذين كانوا يتصرفون كوسطاء بين السلطات الفرنسية العليا والأهالي، مستخدمين نفوذهم لتنظيم واستغلال القوى العاملة المحلية. كما نلاحظ أن السخرة لم تقتصر على نوع واحد من الأعمال، بل شملت مجموعة متنوعة من الأنشطة التي تعود بالفائدة على الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

ورغم أن السخرة كانت معروفة منذ القدم، فلقد اتخذت في الجزائر الاستعمارية شكلاً أكثر تنظيماً وتماسكاً بفضل الآليات الإدارية التي وضعتها المكاتب العربية. هذه المكاتب كانت تقوم بدورين أساسيين: أحدهما إداري يتعلق بتنظيم العمل وتوزيع المهام، والآخر سياسي يتمثل في إحكام السيطرة على الأهالي وضمان خضوعهم الكامل للسلطات الاستعمارية. ومن خلال استكشاف هذه الآليات والطرق التي تم من خلالها استغلال السكان

المحليين، يمكننا القول إن نظام السخرة كان جزءاً لا يتجزأ من استراتيجية الهيمنة الاستعمارية في الجزائر، وشكلاً من أشكال العنف الذي ساهم في تدمير البنى الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأصليين.

6. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1971م، منشورات جامعة باجي مختار، 2006، عنابة، الجزائر.
شارل فيرو، تاريخ جيجلي، تر. عبد الحميد سرحان، دار الورسم، 2013، الجزائر.
علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديماً وحديثاً، منشورات الأنيس، 2011، الجزائر.
عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، المجلد الثالث، الطبعة الرابعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، بيروت.

المراجع باللغة الأجنبية:

ANOM ALG GGA 33 KK/39, Cercle de Djidjelli 1848/1880, Correspondance 1848/1879, Correspondance arabe 1860/1873, 1868/1873.
ANOM ALG GGA 33 KK/35, Cercle de Djidjelli 1848/1880, Correspondance 1848/1879, Correspondance arabe 1860/1873, 1860/1863
Bellucci, Stefano, and Andreas Eckert, *General Labour History of Africa: Workers, Employers and Governments, 20th–21st Centuries*, James Currey, 2019, Uk.
Chenntouf Tayeb. L'évolution du travail en Algérie au XIXe siècle. Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°31, 1981.
Habault, Gabriel. La Corvée royale au XVIIIe siècle, Thèse pour le doctora, Faculté de droit de l'Université de Paris. 1903.
Jacques Budin, Colonisation, Acculturation et Résistances : la région de Bône (Annaba, Algérie) de 1832 à 1914, thèse de doctorat, sous la direction du Professeur Émérite Jean-Charles Jauffret, Université d'Aix-Marseille, Institut d'Études Politiques d'Aix-en-Provence, 2017.
Jules, Duval. et Auguste, Warnier, Bureaux arabes et colons, réponse au "Constitutionnel" pour faire suite aux "Lettres à M. Rouher", Challamel aîné, 1869, Paris.
Dictionnaire des communes de l'Algérie, villes, villages, hameaux, douars, postes militaires, bordjs, oasis, caravansérails, mines, carrières, sources thermales

et minérales, comprenant en outre les villes, villages, oasis du Touat, du Gourara, du Tidikelt et de la vallée de l'Oued-Saoura, *Pierre Fontana, 1903, Alger.*

Suchet, M. l'Abbé, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, Vicaire Général d'Alger, Tours, Ad Mame et Cie, Imprimeurs-Libraires, 1840. Alger.

Octave Teissier, Algérie : géographie, histoire, statistique, description des villes, villages et hameaux, organisation des tribus, Librairie de L. Hachette et Cie , 1865, Paris.

Ch.r Ageron, De l'Algérie «française» à l'Algérie algérienne. Editions Bouchène, 2005, Paris.